قصائد من الكويت

عالية شعيب

سأغلق هذا الباب خلفي

- ١ -

غيابُكَ
يُشعِل فيّ حضورَ المجزرة.
كُلُّ الذهب الأسود وسخٌ لا
يعنيني
ورقٌ مثقوبُ العينين،
ووجعُ الشهداء في آخرِ
ظهري كلَّ ليلة.

عِواءُ الأنينِ يَنْسج خرافةَ
الكلام
كلَّ ليلة
وجهُكَ يُلْغيني
ودمُ الشهداء يطهِّرني.

غيابُكَ
يَنْشرني كالقلاعِ الهرمةِ
البيضاء
على ذراعين منهكتين لبحرٍ
صار يرفُضني.

غيابُكَ
يَكْشف عريَ أثواب وطني
الزائفة
يُشْعلها
يتركه بارداً بائساً
عواءَ صدى لهيكلِ فضاء
تنفخ فيه المراوحُ فتاتَ روح.

كم أنا ناقصةٌ
باهتةٌ شاحبة
دمي ماء
مائي هواءٌ، شمسي حجر
ذاكرتي مختومةٌ بنحاسِ
حضورِك
يدقّ بكعْبَيْهِ هامةَ وجودي
يهز نخيلَ عطائي
فأرسب في كل امتحاناتي
وأقف مكاني لم أزل أحْسب
أنفاسك،
أبقى
الصغيرةَ التي تركتَ خلفك.

يتطاير الدمعُ من بياض
الجدرانِ
المدجّجةِ بالإنصات
والانتظار.
وغيابُكَ يقطُر من أصابعي
يَزْرعني في طينِ غربةٍ
تعرفني
يرتديني كشمسٍ ثلجيّة
فيخون القمرُ ضياءه
وتعتزل الفراشاتُ أجنحتَها.
يُقشِّر النرجسُ عنه أعذارَه،
والفضولُ ترقُّبَه، والوعيُ
ترصُّدَه،
والخبثُ وشايتَه.

مرشوشةٌ بحسٍّ راعش
أنحاز للانطفاء
من دونك،
يَهْجرني وهجُ الأحلام،
يَعْبرني اليومُ كرمادٍ يَعْلك
ذاتَه لونَه غضبَه وعودَه.

لا أشمُّ دمي، لا يكلّمني
عقلي.
فقط مهزومةٌ
أجرّني وأحملني، أسقطُ
وأسقط
مرئيةً للناس
ووهميةً في مرآةِ يقظتي.

حضورُ غيابِكَ يزنّر قوافلَ
وجودي.
كيف أتجدّد؟
كيف أزرَع هواء الياسمين في
فضاءِ الروح؟
كيف أعرف أنكَ هنا،
لستَ هنا،
هناك؟
في داخلي تملأ خارجي.
ماذا أعرف وماذا لا أعرف؟

مدوِّيةٌ هي الأحداث،
وسطوعُ سرعةِ رحيلك،
والأشياءُ التي تركتَ مبلّلةً
- لم تزل -
تنتظر

مثلَ شغف الزورق للوصول
أو
أسرِ النشوة لفحيحِ الزعفران
أو
خيالِ الورقة البيضاء قبل
الهتك
أو
بَلَلِ الفراشة قبل الاختراق.

هدوءٌ مطبِق
والعويلُ يتراكم في جوفي
يَحْجبني عني.
هل أبكيني أم أبكيك؟
هل أَخفض كتابي، أم أنشر
صيحتي،
أم أُعلّق وجودي حتى تأتي
فآتي؟

- ٢ -
صورةٌ لمساءٍ لَزِج
تجادل فضّةَ صمتي،
هل أكون دونَكَ دونَهم دونَها
معي وحدي
أحتضنني وأفرّق على
الجميع
نعيَ غيابي؟

نافقتُ كذبهم بسذاجتي
قلتُ سأودّع قصدير
أصواتهم
رذاذَ نفاقهم
كبريتَ عناقهم.

سأغيب خلف سورٍ من
بوحي
سأتقمّص حكايَتَكَ عن
كويت اللؤلؤ والبحر
وأُخفي هلعي، قلقي،
شغفي، طمعي،
بالأصحاب.

سأشْهد أني أقطع المسافةَ
المشتاقةَ
بين قدمٍ وأخرى،
وأَجْمع لهاثَ أحذيتي
ضدّ نهايةِ أرفض الوصول
إليها
معهم.
بهم لا أكون
وحدي

وجدار يمشي إليّ

وصورةُ أبي تومئ لي
بأنّي واحدةٌ
واحدة.

- ٣ -
أَعْرف هذا الصوت جيداً:
حشرجةً في جوفِ الجدار،
اضطرابَ دمِ الحبيبات
الناعمة الخشنة
البيضاء الشاحبة.

حباتُ الندى تتكوّن على
جلد الجدار
مثلَ سفنٍ شراعية صغيرة
تَعْبر ماءَ جبهتي الآن
مثلَ هذا الصوت المتحرّك
الأزرق الأخضر الورديّ
لعرسِ حضورِ أبي.

الجدار يَبْسط عطاءَه:
إزارَه الرماديَّ بخطوطه
الحمراء الرفيعة،
قافلتَه البيضاءَ المجعلكة،
يصلني فوحُ طيبه الروحانيّ
وبقايا رائحةٍ نظيفة.

أَعرفُ هاتَيْن اليدَيْن
اليابستَيْن
جيداً
منهما يَنْبع ماءُ عينيّ
من صنوبر أحراشهما
تأتيني أفكاري
وأعرف عروقَ هذا الرأس
النافرةَ جيداً
في زحام وَرْدهما تكلّم
عقلي لأوّل مرة
واختزلَتْ إرادتي الوجود
يمشي فيهيج الياسمينُ في
مسام الهواء
هو
متكلّم الغياب فاقعُ
الحضورِ
هو البرقُ الذي يبيح
رعشاتي
ويمنحني لحظةَ اليقين هذه
التي أتمرّغ في شوكها
الآن الآن.

الجدارُ يزفّ لي أبي؛
والسفنُ الشراعيَّة في بحر
جبهتي تنتحر،
مختصرةً أمسي ويومي
حارقةً إمكان الغد.

أتمنى لو ينظر إليّ،
لو يعاتبني لتأخُّري،
لطيشي وعبثي،
لو.. يعتذر عن رحيله
المفاجئ
لكنَّه
ينزلق من الجدار
مخبِّئاً عطرَ الكلام
حابساً وهجَ اللقاء
ماشياً بعيداً عني
وأنا
أَسْخن وأَبْرد
تَسْقط العصافير الميتة
من أطراف أصابعي
أتبدّد في شوقي.

لا أتحرّك.
مأخوذةً،
أَجْمدُ في ذاكرة الأماكن
والروائح
والكلمات

يحاصرني الأمسُ
سدرُ بيتنا والحوش والسور
وبقايا حديقةٍ تركها تركته
غرفته
نواحُ السجادة الزرقاء،
سريرُه النحاسيُّ يَسْتكمل
تلاوتَه،
الستارةُ المعلَّقة من ذراعها
اليتيمة،
شتاتُ زمن ساعته وندى
نظارته
مسابيحُه المشنوقة في
أعمدة السرير.

يبتلعني الفضاءُ
كأنّ نقطةَ دمٍ حمراء على
طرف فمي
كأنَّ وردة تفتّحَتْ بين نهديّ
تصبّ سخونةَ ولادتها في
عينيّ
تفاحٌ أحمر يَسْكب دمه على
ساقي اليمنى
أشتهي لو..
قبل أن يَدْخل في الجدار
أشتهي لو.. أخلع جُبْني
ووَلَهي وأتحرَّك
أمشي أركض أسقط أتبعه
أشتهي لو
أنَّ هذا الصمت يناجيني،
يواسيني،
يوبّخني،
أتمنى أن
يكون كرزُ هذا الصمت كذِباً،
خديعة.

أَشْهد بالأشجار وشموخها،
وبالجدرانِ وبهائها،
وبالحجرِ وصبرِه، وبالحذاءِ
وكبريائه،
وبالندى وطراوته، والبحرِ
وجبروته،
والزرقةِ وفراشاتِها، وبالغيابِ
وسوادِه
أن أبي فيّ
وأني خارجي □.